الشخصية بين الواقع والدلالة في الرواية الفلسطينية

(رواية '' ما تبقى لكم'' لغسان كنفاني نموذجا)

دكتور

نصـــر عبـــاس

جامعة القدس المفتوحة – الرياض

الشخصية ، مفهوما وعنصرا فنيا

الشخصية بمفهومها العام هي نتاج البيئة ، مكانا وزمانا ، وثقافة، كما أنها مجموع تفاعل عوامل الواقع المعيش ، مع التركيبة الداخلية للإنسان الفرد ومكونات واقعه النفسي ، والعوامل التي تساعد في بناء الشخصية ، وبلورة فكرها وسلوكها .

والشخصية في العمل الروائي هي أحد عناصر البناء الفني الروائي ، وقد ينصب جل اهتمام الكاتب الروائي على هذا العنصر ، فيطلق على روايته (رواية الشخصية) ، إذ تكون المحور الرئيس الذي تتحرك به ، ومن خلاله عناصر البناء الفني الأخرى في الرواية.

والشخصية الروائية تأتي على أنواع متعددة ، وتتباين طرائق معالجتها ، لكنها في الإجمال ومع تعدد هذه الأنواع ، إنما تبقى معيار الحكم على العمل الروائي بعامة ، وعلى قدرة الكاتب على خلق نماذج لشخصيات روائية تتسم بطابعها الإنساني ، وتخلق روح التفاعل من قبل المتلقي حين يقرأ في وجوه تلك الشخوص جوانب من حياته أو من حوله ، وحين تتسع دائرة الإحساس بها والتفاعل معها ، مع إلغاء قيود الزمان والمكان التي قد تحددها في العمل الروائي ، لتأخذ سمتها الإنسانية الشمولية المطلقة .

وعليه فإنه لا بد للشخصية الروائية بشكل عام أن تكون نمطية ، من جانب، وفريدة ونموذجية من جانب آخر ، ولعل هذا أن يكسبها صورتها الكونية الحياتية العامة ، أي طابعها العام ، في حين تكون متمتعة في الوقت نفسه بكثير من خصائص الشخصية الفريدة التي تدفعها إلى مصاف النموذج والانفراد بإطار شخصي ذاتي .

والشخصية الروائية ، من حيث طبيعة دورها الروائي ، تكون رئيسة ، تلك التي تدور حولها الأحداث وترتبط بها بشكل أو بآخر ، بل هي المحرك الرئيس للحدث الروائي ، ومترجمة بشكل مباشر أبعاد الفكرة الروائية الأساسية ، كما تكون شخصية

ثانوية ، معززة ومعمقة جوانب الشخصية الرئيسة ، وداعمة لها ، ومحددة ملامحها ، ومبلورة دورها في الحدث الروائي .

أما على صعيد التركيبة الفنية للشخصية ، فقد قسمها " فورستر " إلى نوعين اثنين ، الأول منهما هو الشخصية النامية المتطورة المعقدة ، تلك التي أطلق عليها بعض النقاد الشخصية الكروية أو الدائرية ، وهي الشخصية الروائية التي لا تبدو معالمها أو ملامحها بصورة واضحة وجلية إلا مع انتهاء أحداث الرواية .

ثم إنها الشخصية التي " تتأثر بالأحداث وتؤثر فيها بشكل مستمر، وتخلق الموقف ، وتتحرك من خلاله لموقف آخر " [1] .

وقد يضع كاتب الرواية جل اهتمامه بهذا النوع من الشخصيات الروائية ، فيبقي على دورها في الحدث الروائي ، ومن ثم بلورة عالمها الباطني النفسي ، ذلك تأثرا بما تحقق في أبحاث علم النفس من تطور وتقدم ، انعكس على الصعيد الروائي الإبداعي ، كما الحال في مجالات الإبداع الأدبي الأخرى ، ومن ثم تكون سيطرة مثل هذا النوع من الشخصيات على العمل الروائي بشكل عام . ولعل هذا ما دفع ببعض النقاد لأن يعبّروا عن دور مثل هذا النمط من الشخصيات على بعض الأعمال الروائية . يقول أحد النقاد في هذا الصدد :

" والقارئ يلمس أثر سيادة الشخصية بصور مختلفة ، فكثيرا ما تكون الشخصية هي العنصر الأهم في القصة ، ولهذا تكون المحور الذي تدور حوله ، وكل ما يدور في القصة من أحداث لا بد من أن يمسها من قريب أو من بعيد ، ويؤثر في تكونها بألوان جديدة ، ويلقي الأضواء الجديدة على مكامن أسرارها وأعماق أغوارها " [2] .

---

[1]) الفن القصصي في فلسطين . د..نصر محمد إبراهيم . دار العلوم . الرياض . ط1 1982م ص 384

[2]) القصة في الأدب العربي الحديث . د. محمد يوسف نجم . دار مصر للطباعة . القاهرة . ط1 ب ت ص 20

والنوع الثاني من الشخصية الروائية عند " فورستر " [1] هو الشخصية البسيطة المسطحة أو الثابتة وهي الشخصية واضحة المعالم ، التي تتضح ملامحها منذ بدء أحداث الرواية ، فتبقى دونما تأثر بالحدث أو تأثير مباشر فيه . وهي نوع من الشخصيات المستقاة من واقع الحياة ، ويتم تقديمها بشكل مباشر وسلس للمتلقي، الذي لا يجد كبير عناء في إدراك طبيعتها والتعاطف معها ، بل والتجاوب مع دورها في أحداث الرواية . ويغلب على هذا النوع من الشخصيات الروائية بساطتها ووضوحها ، وهي تنتقى من واقع الحياة وتبقى على حالها ، وهذا يعني جاهزيتها الكاملة التي تساعد الكاتب على توظيفها فنيا بشكل سلس غير معقد . يقول أحد النقاد عن هذا النوع من الشخصيات الروائية :

" هي الشخصية المكتملة التي تظهر في القصة ، حين تظهر ، دون أن يحدث في تكوينها أي تغيير ، وإنما يحدث التغيير في علاقاتها بالشخصيات الأخرى فحسب ، وأما تصرفاتها فإنها دائما لها طابع خاص " [2] .

لقد اهتم النقاد والدارسون بعنصر الشخصية في الأعمال الروائية ، باعتبارها المحرك الرئيس للحدث الروائي ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، ومن ثم لتحديد هوية زمان العمل الروائي ومكانه ، وفكرته والمستهدف منه . إن الشخصية هي المحور الأساس الذي يحرك عناصر البناء الفني في أي عمل روائي ، ويتحرك بها ، ومن خلالها بالحتمية الفنية .

وقد جاء اهتمام هؤلاء النقاد والدارسين بهذا العنصر منذ القرن التاسع عشر تحديدا ، وكان المنطلق في هذا الصدد هو الاهتمام الملحوظ من قبل روائيين كثر في العالم بعنصر الشخصية ، وكان محك الحكم على أي عمل روائي إنما يكمن في قدرة الكاتب الروائي على خلق نماذج لشخصيات روائية تترك أثرها وتأثيرها في القراء ،

---

[1]) مظاهر الرواية . فورستر . لندن . ط1 ص 62.

[2]) بناء الرواية . مور . لندن . ط1 1949م ص 26.

لتأخذ بهذا طابعا إنسانيا شموليا مطلقا ، ومن ثم بدأ الاهتمام بما أطلق عليه مصطلح الأنسنة والنمذجة في عالم النقد الأدبي الروائي .

لقد وضع نقاد متعددون هذين البعدين ، الأنسنة والنمذجة ، معيارا أساسيا لإضفاء مسحة إنسانية على العمل الروائي ، الذي يكسب من ثم صفته بل هويته الإنسانية الدافعة لخلوده ، فالروائي الذي ينجح في طرح قضايا إنسانية عامة ومطلقة ، تتسع دائرة أحداثها لتشمل إحساس الفرد ، أي فرد ، بأن ما يقرأه ، أو ما يعايشه على صفحات العمل الروائي ، إنما هو من صميم ما يمس حياته وفكره وطموحاته ، واحساساته ، إنما يحقق بهذا بعد الأنسنة المقصود هنا ، وهو حين ينجح بالتالي في خلق نماذج بشرية ينتقيها من واقع الحياة ، أو تلك التي يضفي عليها من مسحة فكره وخيالاته ، وتصوراته ، وقناعاته وتطلعاته ، ليعالج تلك القضايا الإنسانية الشاملة والعامة والمطلقة ، إنما هو الذي يحقق توفيقا في بلورة فكرة النمذجة ، التي تؤكد على هوية العمل الروائي الإنسانية بشكل واضح .

لقد اهتم الدارسون والنقاد كذلك بالوقوف على نماذج لشخصيات روائية عربية وغربية من خلال مسارات حيواتها الماضية والحاضرة، بل لقد بدأ الاهتمام يتزايد ومنذ القرن التاسع عشر تقريبا بالواقع السيكولوجي للشخصيات الروائية ، ذلك بعد تقدم البحث العلمي في مجال علم النفس وتطور الدراسات في هذا الصدد مما دفع بكثير من الروائيين للتركيز على عوالم الصراع الداخلي الباطني ، وعدم التحرك ، فحسب ، في أطر الصراعات الخارجية للشخصيات الروائية . ولقد هيأ هذا الاهتمام القراء للتركيز ، بالتالي ، على متابعة حيوات الشخصيات التي يتابعونها ، أو يعايشونها على الورق ، لتأخذ سمة الحياة والنبض، ولتتحاور مع القراء بشكل فاعل ، ومؤثر ، كان له كبير الأثر في تعاطف القراء مع نماذج متعددة منها ، حبا أو كرها ، وكأنها تتحول بهذا التعاطف وتلك المحاورة إلى نماذج بشرية حقيقية ، يقرأ فيها المتلقي جانبا ، أو جوانب من حياته بكل ما يعتورها من متناقضات . ولعل هذه الخصوصية في الشخصية الروائية هي ما دفعت " بروب جرييه " لأن يقول :

" إنه بفضل هذا الطـابع الخاص ستسلم الشخصية اسمها في المستقبل إلى نمط ثان ، وكأن هذا النمط الإنساني كان ينتظر أن ينتهي المؤلف من تعميده له " [1] .

إن الروائي حين يخلق نموذجه الروائي ، إنما يواجه ببعدين اثنين، " أولهما هو البعد النفسي للشخصية ، وهذا جانب لا يمكن انعكاسه على مرآة البحث إلا بعين قاص أو روائي محنك وخبير ودارس لمكنونات النفس البشرية ، وقادر على النفاذ وسبر الأغوار بكثير من الدقة والموضوعية ، وإن كان هذا يدفعه في كثير من الأحيان إلى التخيل ومحاولة إضافة جوانب أخرى تساعد على رسم أبعاد الشخصية بشكل عام دون المساس بالجوهر والتكوين الأصلي لها.

أما البعد الثاني فهو الظاهر والسلوك والصورة الخارجية لتلك الشخصية ، مما يسهل معه دفع الكاتب بشكل مشجع وموفق لسبر أغوار نفس الشخصية "[2].

يذهب بعض الدارسين إلى أن اهتمام النقاد والكتاب بعنصر الشخصية منذ القرن التاسع عشر في الأعمال الروائية ، بشكل ملحوظ ، إنما مرده إلى ظهور الرومانسية في الواقع الإبداعي ، على مستوى العالم ، ذلك لما كان لهذا الاتجاه الفني من اهتمام بعنصر الفرد ، بوصفه عنصرا فاعلا ومؤثرا في المجتمع بعامة ، وعليه فقد بدأ التركيز على سبر أغوار هذا الفرد ، وتلمس ملامح خصوصية إحساساته ومشاعره وآلامه وآماله ، في قالب من التأمل والعاطفة المشبوبة . في هذا الصدد يقول أحد الباحثين :

" إن الحركة الرومانتيكية كانت محاولة ضخمة لاكتشاف دنيا الروح خلال مجهودات غير محدودة للنفس الفردية المنعزلة ، وكان تقريرا لتلك العقيدة التي تؤمن

---

[1]) نحو رواية جديدة . آلان جربيه . ترجمة مصطفى ابراهيم مصطفى . دار المعارف . القاهرة . ط1 1976مص35.

[2]) الفن القصصى فى فلسطين . د. نصر عباس . مرجع سابق . ص382

بقيمة الفرد ، والتي كان الفلاسفة والسياسيون قد نادوا بها من وقت قريب في العالم " [1] .

إن الشخصية الروائية إنما هي نموذج يحاول الكاتب الروائي أن يخلق شكلا من أشكال التوافق والانسجام مع مثيلاتها في الواقع المعيش ، ولكن الفنان المبدع هو القادر على أن يخلق في عمله الروائي نموذجا مغايرا ، إلى حد ما ، يدفع للتفاعل أو التعايش معه من قبل المتلقي بصورة تولّد عنصري التشويق والتوقع كليهما ، وعليه فقد يخرج الروائي المبدع خارج حدود التوافق الكلي أو التطابق التام مع نماذج الشخصيات التي يصورها بين طبيعتها الواقعية ، في جانب، وطبيعتها الفنية ، في جانب آخر . وقد عبّر باحث عن هذا الجانب بقوله :

" لا نتوقع من شخصيات القصة أن تنطبق انطباقا تاما مع وقائع الحياة اليومية ، لكل خصائص الشخصية ككل ، وإنما تتوازى معها ، فنحن عندما نقول إن شخصية من شخصيات الروائية (جين أوستن) وهي " مس باتز " ، مثلا ، إنما تنطبق على الواقع كثيرا ، فإننا نعني أن كل جزء منها ينطبق مع جزء من الحياة ، وهي ككل إنما تتوازى، فحسب ، مع شخصيات الحياة " [2] .

ولا يخفى ما للشخصية من أهمية بالغة وأساسية ، بل محورية في تحريك الحدث الروائي ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، بل هي في حقيقة الأمر المعيار الأساس الذي يحدد قدرة الروائي على بلورة فكرته وهدفه من خلال رسم شخصياته وتحريكها ، لغة وسلوكا وفكرا ، فالشخصية بهذا ، على اختلاف أنواعها وأنماطها ، هي المحرك الأول للحدث ، فبظهور الأبطال الروائيين داخل السياق الروائي ، إنما تبدأ أحداث العمل بصورة عامة ، وتتحرك بسرعة ونشاط ، ويبدأ كلاهما ، الشخصية والحدث ، التأثير في الآخر ، والتأثر به ، وكشف اللثام عنه ، " سواء أكانت

---

1) الخيال الرومانتيكي . بورا . لندن . ط1 ص22

2) مظاهر الرواية . فورستر . مرجع سابق . ص26

الشخوص رئيسة مؤثرة في الحدث بشكل مباشر ، أم ثانوية ، تلعب دورها بشكل خفي أو غير مباشر أحيانا لتطوير الحدث " [1] .

لقد تطور الاهتمام بعنصر الشخصية في الأعمال الروائية والقصصية على مستوى العالم كله مع تطور الدراسات النفسية تحديدا، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، وكان جلّ الأدباء ممن اهتموا بهذا التطور المعرفي والفكري والسلوكي ، يرصدون من خلال شخصياتهم الروائية معالم الواقع النفسي للشخصيات ، ومن ثم يقفون على مشكلات اجتماعية وحياتية من خلال هذا الواقع ، ومن خلال هذا التناول الفني لعنصر الشخصية في أطرها النفسية الجديدة ، ثم استحداث تقنيات فنية للمعالجات في الأعمال الروائية ، من ذلك طريقة (تيار الوعي) ، التي اتخذها روائيون كثر سبيلا للانطلاق إلى عوالم النفس البشرية ، ضمن مسار حيوات بعض الشخوص في الماضي ، وربط ذلك بعوالمها الحاضرة ورؤاها المستقبلية ، ضمن تيارات من الإحساسات والوعي الإنساني الذي يكشف الستر عن خفايا هذه النفس أو تلك ، وعرض أفكارها ورؤاها وطموحاتها الآنية والمستقبلية .

لقد اعتمد كتاب (تيار الوعي) في الرواية على علم النفس ودراساته في تكييف الجو النفسي لأبطالهم الروائيين ، وربط الأحداث العابرة بأحلام اليقظة عندهم ، والمقابلة بين الماضي والحاضر ، " فقد اتجه بعض الكتّاب إلى التغلغل في أعماق النفس الإنسانية ، وتصوير عقد النفس ومسارب السلوك الإنساني ، حين ذلك نشأت القصة النفسية التي تدور أحداثها داخل نفوس الأبطال لا خارجها " [2] .

والشخصية الروائية في حقيقتها تبقى نتاج واقع معيش ، من جانب ، وانعكاسا لبعض ملامح شخصية كاتبها ، من جانب آخر ، وبرغم هذا كله ، إلا أن هذا الانعكاس لا يعني رسم شخصية الكاتب بجزئياتها ودقائقها بشكل ينطبق انطباقا تاما

---

1) الفن القصصي في فلسطين . مرجع سابق . ص385

2) الرواية والعالم المتطور . دافيد داشيز . لندن . ط1 ص12

على شخصية الكاتب بل إن شخصيات الرواية تبقى ذات خصوصية وتفرد ، مما يولّد معها نبضا وحيوية بديعة ، وهذا ما قد يعطي أحد ملامح مصداقية الفن الإبداعي الروائي ، ويعمّق من أبعاد الشخصية الروائية المرسومة ، ولعل هذا ما نوه به تحديدا أحد النقاد حين قال :

" والواجب أن يبقى للشخوص كيانها المستقل ، وأن تظل حية في حركاتها وسكناتها وأن يحس القارئ في أعمالها حرارة الحياة ، ويتعرف من فعالها على ما تتميز به من شمائل وحقائق ، فلا تتكلم هذه الشخصيات إلا بأسلوب طبيعي يلائم نفسيتها ، ولا تعمل إلا وفق الحوادث ، على منهجها المرسوم لها " [1] .

الشخصية والواقع الفلسطيني

لا يخفى أن الشخصية الفلسطينية بعامة لها خصوصيتها ، اكتسبتها من وحي واقع التأزم والمعاناة والتشرد والنضال والثورة ، التي عاش في كنفها الإنسان الفلسطيني ، فانعكس ذلك كله على فكره وسلوكه ومرئياته الحياتية ، بل على نظرته تجاه واقعه الحياتي الآني ، وتطلعاته الحياتية المستقبلية .

وضمن حدود هذه الخصوصية بدا أن الخلاص من معاناة السنوات الطوال ، هو الثورة والنضال من أجل وضع لبنات حياة أكثر أمنا واستقرارا للأجيال القادمة .

لقد فرضت القضية الفلسطينية ، بأصعدتها السياسية والاجتماعية على بنية الثقافة الفلسطينية والإبداع الفلسطيني ، وكان أن بدا للروائي واقع هذه القضية بأبعادها كلها إطارا حتمي التناول والمعالجة ، وطرح نماذج لشخصيات تعكس الواقع بدقة ومصداقية ، وعليه فقد كانت معظم ، إن لم يكن كل ، شخوص الروائيين الفلسطينيين مترجمة واقع حال الشعب الفلسطيني في مراحل معاناته ومأساوية حياته ، من جانب ، أو طرح إرهاصات نضاله وثورته ، من جانب ثان ، أو تصوير مراحل

---

[1]) دراسات في القصة والمسرح . محمود تيمور . القاهرة ط1 1967م ص62

نضاله وثورته الفعلية وتحديه وتصديه للعدوان والاحتلال والتشرد والتشتت والضياع ، وطموحات العودة والتجاوز ، من جانب ثالث .

لقد عكست روايات مرحلة ما قبل النكبة عام 1948 م أو بعدها بسنوات ، فكر المعاناة والتأزم ، بل البكاء والحزن والأسى ، في قوالب من رومانسية الطرح وسوداويته ، وتأزم الإنسان الفلسطيني في مواجهة إرهاصات النكبة ، فكانت شخصيات الروايات آنذاك صورة صادقة وأمينة لتلك المرحلة التي سبقت النكبة أو تلتها بسنوات ، كما رأينا ذلك عند (رامز فاخرة) في روايته " على الدرب " ، و (علي هاشم رشيد) في قصصه " رصيف الدموع " ، و (محمد إسعاف النشاشيبي) في قصصه " البستان " ، و (محمد جلال عناية) في قصصه " دم على الجدار " ، و (محمود سيف الدين الإيراني) في قصصه " أول الشوط " ، و (ناصر الدين النشاشيبي) في روايته " حفنة رمال " وغيرهم . في حين طرح البعض رؤية خاصة لمعاناة شعب فلسطين برمته في قالب رمزي بديع ، نوه فيه بشكل يكاد أن يكون مباشرا بحدوث النكبة ، وكأنه يدق ناقوس الخطر ، لينبه الأمتين العربية والإسلامية للخطر المحدق بالقضية والشعب . ولعل رواية (مذكرات دجاجة) "للدكتور إسحق موسى الحسيني " التي كتبها في عام 1943م ، أي قبل حدوث النكبة بخمس سنوات ، والتي قدم لها عميد الأدب العربي " الدكتور طه حسين " ، أن تكون من الروايات المترجمة لهذه الأبعاد ، بإبداع جميل ، وبمصداقية عميقة .

لقد جاءت شخصيات روايات ما بعد خمسينات القرن العشرين في معظمها تقريبا ، عنوانا لطرح إرهاصات الثورة بل الدعوة إليها والحض على إضرامها ، فكانت أعمال بعض الروائيين وشخوصهم ضمن هذا الإطار بصمات مهمة على الصعيدين الواقعي والثوري ، في جانب ، والفني المبدع ، في جانب آخر ، ومن أهم تلك الأعمال التي بدأت تبشر بانطلاق الثورة ، بل وبحتمية هذا الانطلاق وضرورته ، لخلق مرحلة جديدة في واقع الإنسان الفلسطيني ومستقبله ، أعمال (غسان كنفاني) بشكل عام ، وبصورة محددة روايتاه " رجال في الشمس " و " ما تبقى لكم " .

وقد نجح روائيون متعددون في الواقع الروائي الفلسطيني تصوير واقع الحياة النضالية والثورية من بعد ، في رواياتهم ، وجسدوا ملامح واقع الحياة لشعب يعاني ، ويتألم ، لكنه يواجه ويتحدى ويتصدى لأشكال العنف والقهر والقتل والموت المتواصلة ، التي يمارسها جنود الاحتلال الإسرائيلي ، منذ السابع والستين ، على امتداد رقعة الأرض الفلسطينية ، في الضفة وقطاع غزة . وقد كانت شخوص بعض الروايات ناقلة بأمانة وصدق وموضوعية أشكالا من هذا النضال ، سواء على الصعد السياسية والثقافية والفكرية ، أو على صعيد الممارسات النضالية المباشرة ، ذلك في إطار المواجهة الفعلية داخل الوطن ، في حين كان تناول بعض الروائيين لشخوصهم خارج الوطن ، على امتداد رقعة الشتات والتشرد التي تشمل بلدان قارات العالم كلها ، إنما يركز على بعض من القضايا النضالية الثقافية ، أو طرح نماذج لشخصيات تبحث عن ذاتها وكيانها ، ضمن أطر من الصراع النفسي والحيرة الحياتية التي قد أخذت في بعض الأحيان أشكالا من المعالجة النفسي والفلسفية ، إلى جانب بعض الروايات التي جسدت أشكالا من الصراع والمواجهة والتحدي التي تتوازى مع ما يقدم من أعمال روائية داخل الوطن .

من نماذج الروايات التي نجحت في وضع صورة حية ونابضة للواقع الفلسطيني ضمن إطار الصراع والمعاناة والمواجهة داخل الوطن (الصبّار) و (وعبّاد الشمس) ومن قبلهما (لم نعد جواري لكم)لسحر خليفة ،ثم (سداسية الأيام الستة) و(لكع بن لكع)،و(الوقائع الغريبة في اختفاء أبي النحس المتشائل) لإمل حبيبي ، (المشوهون) و (المجموعة 778) لتوفيق فيّاض ، (و (بعيدا عن أريحا) لمحمود الريماوي ، وغيرها ، في حين جسّد كثير من الروائيين القضايا ذاتها أو ما غايرها أو عزّزها من قضايا الغربة والحنين إلى الوطن ، وتحدي صنوف العذاب والمأساة والمعاناة التي خلقت نماذج ثورية مناضلة ، دعمت القضية ، أو حاولت ، بأشكال ووسائل مختلفة ، لتحمل في أعماقها رؤية شمولية للنضال من أجل العودة

والتجاوز لكل أشكال التشرد والضياع ، والمعاناة في ظلهما . ومن نماذج الروايات في هذا الصدد (العجوز) لأفنان القاسم ، و (السفينة) و (صيادون في شارع ضيق) لجبرا إبراهيم جبرا ، و (أزهار برية) لحنا إبراهيم ، و(البكاء على صدر الحبيب) لرشاد أبي شاور ، وغيرها من الروايات .

دلالات الشخصية في الرواية الفلسطينية

جسدت الشخصية في الرواية الفلسطينية مجموعة من الدلالات النابعة من واقع القضية أيضا ، كما جاءت مصورة أنماطا لشخصيات واقعية في الأغلب الأعم ، تلك التي تجسد أشكال المعاناة والقهر والاضطهاد ، في جانب ، وأشكال النضال والتحدي في جانب ثان ، أو بعض أنماط السلبية والخنوع والرضى بالواقع ، على سوداويته وقسوته ، في جانب ثالث .

أما على صعيد دور الأديب الروائي ، بل الإنسان الفلسطيني بعامة في هذا الصدد ، فلعل مقولة أحد الروائيين الفلسطينيين ، وهو (غسان كنفاني) أن تعطي بعض ملامح هذا الدور ، إذ يقول بهذا الصدد :

" الفلسطيني في المنفى يؤكد نفسه ويبحث عن طريق خلاصه في الجسد العربي ، والفلسطيني في الداخل يؤكد ذاته يوميا في مواجهة أدب الدجل العربي الذي ترفضه سلطات الاحتلال " [1] .

لقد أصبحت الشخصية الروائية في الأدب الروائي الفلسطيني انعكاسا صادقا دقيقا ومباشرا في أغلب الأحيان للشخصية الفلسطينية الواقعية ، التي اكتسبت دورها النضالي من تعاطيها اليومي للمأساة ، ومن ثم أصبحت الشخصية ، في وجهيها الواقعي والفني عند معظم الروائيين ، صورة للقضية الأم ، بل أصبحت هي القضية

---

[1]) أدب المقاومة في فلسطين المحتلة . غسان كنفاني . دار الآداب . بيروت . ط1 1972م ص21

ذاتها التي تتمحور حولها ، ومن خلالها ، وبها ، أشكال حيوات الفلسطينيين على تعدد اتجاهاتهم ومشاربهم الفكرية والنضالية ، بل الاجتماعية والثقافية.

لقد أصبح الإنسان الفلسطيني ، في نماذجه الروائية ، ومن خلال المأساة والموت الحتمي ، هو القضية ، إذ " أخذت الأحداث الروائية والأشياء حجمها الطبيعي من حوله ، فاستطاع القاص والروائي الفلسطيني من خلال شخوصه أن يعمّق الرؤية الخاصة حول القضية والشعب ، وأن يبين أبعاد أعظم مآسي التاريخ بصورة شاملة " [1] .

---

[1]) الفن القصصي في فلسطين . مرجع سابق . ص388

* غسان كنفاني ، قاص وروائي فلسطيني . مولده كان في عكا بفلسطين في عام 1936م ، بينما كانت وفاته ببيروت في عام 1972م . هاجر مع أسرته في عام النكبة 1948م ، ليستقر بسوريا ، وينال شهادته الجامعية من جامعة دمشق ، وليعمل مدرسا بمدارس مخيمات الفلسطينيين بسوريا . يقول (غسان) عن نفسه وأسرته ، فيما ورد في كتاب " غسان كنفاني . إنسانا وأديبا ومناضلا : " أنتمي إلى عائلة من الطبقة الوسطى ، كان والدي محاميا ، وكنت أدرس في مدرسة فرنسية تبشيرية ، وفجأة انهارت هذه العائلة المتوسطة ، وأصبحنا لاجئين ، فتوقف والدي فورا عن العمل بسبب جذوره الطبقية المتأصلة ". تعددت مصادر ثقافته ، فقد نهل من المصادر العربية الأصيلة ، كما نهل ثقافة حياتية من واقع نكبة شعبه ، وتشرده وضياعه وآماله في العودة والخلاص . مارس الفعل الثقافي والسياسي ، فقد انضم عضوا في حركة القوميين العرب ، ومن ثم أصبح أحد الشخصيات الرئيسة في حركة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وعضوا من أعضاء مكتبها السياسي ، كما عمل من بعد رئيسا لتحرير مجلة " الهدف " . نشر قصته الأولى بعنوان " شمس جديدة " في عام 1956م ، ومن ثم قدّم نتاجا قصصيا وروائيا على قدر كبير من الأهمية في عالم الأدب العربي الحديث ، وبخاصة في مجال فن الرواية ، ضمن إطار الرواية الواقعية الجديدة . من أهم أعماله في مجال القصة القصيرة : موت السرير رقم 12 ، وعالم ليس لنا ، وأرض البرتقال الحزين ، وعن الرجال والبنادق . أما أهم رواياته فهي : رجال في الشمس ، وما تبقّى لكم ، وأم سعد ، وعائد إلى حيفا . في حين قدم مسرحية واحدة بعنوان " الباب " . كتب عددا كبيرا من المقالات السياسية والفكرية والثقافية ، كما أن له كتابين اثنين مهمين في مجال الدراسات والنقد الأدبي هما : في الأدب الصهيوني ، وأدب المقاومة في فلسطين المحتلة .

ولعلنا نلمس أبعاد هذا التناول عند كثير من الكتّاب الروائيين الفلسطينيين ، إذ ظهرت عندهم شخصيات المنتمي للقضية ، المدافع عنها ، بوسائل الدفاع والتصدي المختلفة ، كما ظهرت شخصيات مناقضة ، بعيدة عن الإحساس بالقضية أو الاقتناع بحتمية أداء دورها من أجل استرداد الأرض والعودة والخلاص ، ذلك جانب ، أما في الجانب الآخر فقد نجح بعض الروائيين في تجسيد نماذج لشخصيات إيجابية فاعلة على صعيد الواقع الفلسطيني ، اجتماعيا وثقافيا وسياسيا ونضاليا ، في حين جاءت بعض النماذج على النقيض من ذلك ، فهي قانعة مستسلمة خنوعة ، رضيت بواقعها المأساوي ، خائفة من مجرد التفكير في أداء الدور النضالي التغييري الحتمي .

إن بعض الشخصيات الروائية في ظل هذا كله جاءت ، على الرغم من تناقض أدوارها فيما ذكرنا مسبقا ، جاءت لتعطي لوحة دقيقة وصادقة وشاملة عن القضية الفلسطينية ذاتها وطبيعة واقعها الآني ، بل رسمت بعض تلك الشخوص ملامح المرحلة المستقبلية لتلك القضية ، وأصبحت بهذا نماذج لشخصيات تحمل دلالات تتسع دائرتها لتشمل شرائح من الشعب برمته ، على تناقض طبيعة الأفراد فيها .

إن رواية (ما تبقى لكم) لغسان كنفاني ترصد نماذج لشخصيات واقعية ، استطاع مؤلفها من خلال رؤيته الشاملة والعميقة، وعبر دلالات هذه الشخصيات ، أن يضع المتلقي أمام لوحة واقعية اجتماعية ونضالية دقيقة .

رواية " ما تبقّى لكم "

يعمد (غسان كنفاني) * في روايته " ما تبقّى لكم " إلى التوحيد بين عناصر البناء الفني كلها في آن معا ، ففكرته تتوحد وحدثه الروائي ، ومن ثم يتوحد كلاهما مع الشخصية الروائية ، فهو يتخير حقائق واقعية يرصدها ويحدد هويتها من خلال تحديد هوية الفكرة والحدث الروائي والشخصية الروائية من أجل عرض لوحته الواقعية الشاملة ، وهو يحقق مقولة (تشارلتن) في حديثه عن الحوادث القصصية أو الروائية ، إذ يقول :

" لا بد أن يصور الروائيون الواقع في أعمالهم ، فيضعون حقيقة إثر حقيقة ، لا تربطها صلة ، لأن الحقائق – حقائق الحياة – تتتابع على هذا النحو بغير صلة لازمة بين السابق واللاحق " [1] .

وفي إطار المعالجة الفنية للرواية يعمد (غسان كنفاني) إلى وسائل القص المختلفة وطرائق المعالجة المتباينة ، فهو يعمد إلى السرد في آن ، كما يعمد في الآن نفسه إلى استخدام أسلوب الحوار ، سواء أكان حوارا خارجيا ، أم حوارا ذاتيا ، عبر منولوجات ذاتية بديعة ، إضافة إلى تركيزه على الواقع النفسي لشخوصه ، عبر تيارات وعي تنبثق من وحي الصراع الذي يحياه الفلسطيني على الصعيدين ، الذاتي ، في مواجهة الواقع المأساوي المأزوم والأليم ، والجمعي ، الذي يشكل روح الجماهير النضالية الثائرة من أجل إثبات الوجود والهوية .

" ما تبقّى لكم " تعمد إلى استخدام تيارات الوعي لشخوصها ، حيث يقف المتلقي على المخزون النفسي لتلك الشخصيات عبر توحّد ماضيها بحاضرها ، في لحظة شعورية واعية واحدة .

وروايات تيار الوعي ، كما يقول أحد الباحثين ، هي تلك الأعمال التي " يركز فيها الروائيون أساسا على ارتياد مستويات ما قبل الكلام من الوعي ، بهدف الكشف عن الكيان النفسي للشخصيات " [2] .

إن تيار الوعي ضمن هذا الإطار ، يهتم بالمقام الأول بدراسة التجارب الفعلية من أحاسيس وذكريات وأحلام ، مضافا إليها عوامل الرمز كلها ، ومن ثم المشاعر الخاصة للفرد ، ثم نشاط عمليات التداعي التي تربط اللحظة الحاضرة بالماضي ، فكانت الروايات والأعمال القصصية والروائية التي تتبع مسار تيار الوعي مجالا

---

[1]) فنون الأدب . تشارلتن . ترجمة د. زكي نجيب محمود . القاهرة . ط1 ب . ت ص147

[2]) تيار الوعي في الرواية الحديثة . روبرت همفري . ترجمة د، محمود الربيعي. دار المعارف . القاهرة . ط2 1975م ص20

للتعبير الفني ، أكثر واقعية ودقة عما يختلج داخل نفوس الشخوص من دوافع ومشاعر .

ضمن هذا الإطار يحرك (غسان كنفاني) شخوصه ، ويعالج من حلالهم فكرته ، تلك التي يضعها في قالبها الطبيعي والمنطقي ، لتحرك الحدث الروائي بشكل سلس ومنطقي أيضا . إن الفكرة الروائية الصحيحة " حين توضع في إطارها الطبيعي تتجلى حية ودفّاقة كالحياة نفسها ، ولكنها حين توضع في غير إطارها الطبيعي تصبح ألعوبة ذهنية لا سند لها من الواقع ، أو تصبح كخيوط العنكبوت المستمدة من لعابه ، وخيوط ليس لها كيان مادي ، ولا تصيد إلا الذباب " [1] .

في رواية " ما تبقّى لكم " استطاع (غسان كنفاني) أن يوسّع دائرة الرؤية والمعالجة ، ولعل هذا ما دفع بأحد النقاد لأن يقول ، في معرض تعليقه على طرائق (غسان كنفاني) في التصوير والمعالجة الروائية :

" لم يتعامل روائي مع الأجواء العربية بهذا الوضوح وهذه الجرأة الرهيبة في التصوير مثلما نجده عند (غسان كنفاني) " .

تحكي رواية " ما تبقّى لكم " تفصيلات دقيقة لعذاب الإنسان الفلسطيني داخل أرضه ، ومحاولة الهروب بحثا عن واقع مختلف ، أكثر استقرارا وأمنا وأمانا ، وهو هروب يعمد إليه (غسان كنفاني) في كثير من أعماله ، وكأن الهروب قد أصبح أداة من أدوات الثورة الخفية ، أو لنقل التمرد الخفي فحسب ، من أجل البحث عن هوية أو وجود مفقود .

شخصيات الرواية رئيسة في مجملها ، وهي خمس شخصيات ، حامد ، وشقيقته مريم ، وزكريا ، ومن ثم الصحراء ، التي يجسدها غسان تجسيدا بديعا ، إضافة إلى ساعة الحائط ، التي تحمل دلالات على قدر كبير من العمق والاتساع والشمولية .

---

[1]) الأدب ومذاهبه . د، محمد مفيد الشوباشي . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ط 1 1970م ص230

تيارات الوعي التي تفرض نفسها في الرواية ، وهي تيارات متلاحقة لاهثة ، نجحت في ربط المتلقي ببواطن الشخصيات كلها ، ونقلت الرواية ذاتها إلى قوالب من التكنيك الفني الحديث ، حيث ربط المؤلف بين الماضي والحاضر بشكل واع وبديع .

يربط (غسان كنفاني) أبطال روايته بخيط واقعي ، ووجداني ، وفني ، يستدعي الانتباه والمتابعة للغة كل من الشخصيات ، وعالمها الفكري ، ودورها على صعيد تحريك الحدث ، فالعناصر البشرية تتلاحم ، إحساسا ولغة وفكرا وسلوكا مع الصحراء ، ثم تتلاحم في الآن نفسه مع عنصر جامد ، يضفي عليه المؤلف قدرا من الإحساس والفاعلية والنبض والحيوية ، وهو ساعة الحائط ، التي تساعد على الارتباط الكامل ، بدلالة ذلك العميقة ، بين الحياة برتابتها وتناقضاتها ، وتوتر لحظاتها ، مع ما يختمر في باطن الشخوص البشرية في الرواية.

و(غسان كنفاني) يتقن إحداث التقاطع والتمازج والانتقال من حالة إلى حالة ، بحسب الموقف المعيش ، ذلك بطريق تيار الوعي ، ومحاولة ربط الشخوص في لحظة حياتية آنية مع الماضي ، بما يحتويه من تفصيلات وتناقضات .

(حامد) ، هو الشخصية الرئيسة الأولى في الرواية . هو نموذج لشريحة بشرية فلسطينية واقعية عريضة ، فهو شخصية المعذب المعاني المأزوم ، الفاقد إحساسه بوجوده وكيانه وهويته ، يحاول الهرب من هذا الواقع الأليم ، بحثا عن كيان جديد له ، وواقع أكثر استقرارا وأمنا ، يحمل همه الكبير عبر الصحراء الفلسطينية ، محاولا الوصول إلى الضفة الغربية ، وقد برع المؤلف في رصد إحساسات (حامد) ، ورصد واقع مأساوية ماضيه الحياتي لحظة بلحظة ، مع خطوه عبر الصحراء . ولكي يعمّق المؤلف هذا الجانب بصورة فنية وواقعية بديعة ، فإنه يضفي على الصحراء حيوية ونبضا ، فيدفعها للحديث والمحاورة الوجدانية المباشرة مع (حامد) ، فتأخذ في التعبير عن ذاتها وإحساساتها ، ليربط المؤلف بين هذا كله بإحساسات (حامد) ذاته ، والكشف عن مكنون نفسه . يقول (غسان) في جانب من هذا الإطار :

" وأخذ يغوص في الليل مثل كرة من الثلج ، من خيوط الصوف، مربوط أولها إلى بيته في غزة ، طوال ستة عشر عاما لفّوا فوقه خيطان الصوف التي تحولت إلى كرة ، وهو الآن يفكها تاركا نفسه يتدحرج في الليل " [1] .

و (مريم) تمثل وجها من أوجه الصراع والتأزم والمعاناة لشعب برمته ، بل هي كما يبدو من دلالة شخصيتها ، تمثل الأرض وترمز للقضية برمتها ، فهي في جانب تجسد النقاء والطهر والعطاء والوجدان النقي ، في حين تعكس تناقضات ذلك ، إذ هي تصور التمزق النفسي والتوتر الشديد ، بشكل صارخ ، كما تمثل المأساة الفلسطينية على حقيقتها وسط غياهب الضياع والخيبة والتخبط ، التي عاشها شعب برمته ، في مسيرة تشرده وعذابه وتشتته . و(مريم) تحس عبر مسيرة الزمن القاسي بالفاجعة تتطور بشكل سلبي ، وبصورة حادة ، وهي تواجه مصيرا أسود بعد ترديها خلقيا ، وفقدانها ذاتها ووجودها ، حين سقطت في براثن (زكريا) ، الذي يعكس صورة السقوط والرذيلة والتردي ، ولعلنا بهذا أن نلمس واقعية الشخصية ، بتناقض وجهيها [2].

ولنقرأ حديث (مريم) عن نفسها ، لتكشف لغتها عن بواطن ذاتها :

" لم يكن ثمة في البيت مرآة كبيرة واحدة لأرى جسدي منها مرة واحدة ، كنت أرى وجهي فقط ، وحين أحرك المرآة ، فتمر صورة صدري وبطني وفخذي ، تبدو لي قطعا غير موصولة ببعضها لجسد فتاة متقطعة تشبعها دقات مبحوحة ، قاطعة وساخرة ، تدق في الجدار بلا رحمة " [3] .

---

[1]) غسان كنفاني أديبا وإنسانا ومناضلا . إحسان عباس وفضل النقيب وإلياس خوري . منشورات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين . بيروت . ط1 1974 ص37

[2]) الآثار الكاملة " ما تبقّى لكم " . غسان كنفاني . مجلد 1 . دار الطليعة . بيروت . ط1 1973م ص162

[3]) ما تبقّى لكم . مرجع سابق . ص175

يجسد (حامد) في هذه الرواية الهروب ، بوصفه شكلا من أشكال الموت أيضا ، على دلالاته المتعددة عند الواقعيين الاشتراكيين، فالموت لا يعني عندهم موتا فسيولوجيا بالمقام الأول ، بل قد يحمل دلالات الضياع والتشتت والهروب وغيرها مما يعطي رمزا شموليا ، تتسع دائرة دلالاته ليصبح أكثر إطلاقا ، ولتتسع دائرته أيضا ليعطي مدلول الجسر العابر إلى حياة أفضل وأكثر ألقا وإشراقا .

إن الموت بهذا المفهوم عند الواقعيين الجدد ، ومنهم الروائي (غسان كنفاني) ، قد نقل الإنسان المعاني والمناضل والثائر ، إلى حالة وقضية وفكرة ، وهذا ما عبّر عنه (غسان) نفسه ، في معرض حديثه على لسان أحد أبطال قصصه في مجموعته " أرض البرتقال الحزين " ، حين قال ، مخاطبا أحد نماذج – حالات – السلبية والخنوع والاستسلام :

" ألست ترى أنكم استطعتم نقلي بقدرة قادر من إنسان إلى حالة ؟ . لست أرى أني أعلى من ذلك قط . وقد أكون أدنى . ولأنني حالة ، ولأننا حالة ، فنحن نستوي بشكل مذهل " [1] .

وضمن حدود هذه الحالة ، التي أراد (غسان) تجسيد رمزيتها في رواية " ما تبقّى لكم " من خلال شخصيات روايته ، نراه يركز بشكل أساسي ومحوري على شخصية (حامد) ، الذي يمثل هروبه شكلا من أشكال العنف الثوري ، وهو صورة للموت الدلالي عند الكاتب ، كما أشرنا ، فهو ليس هروبا مجانيا أو متخاذلا ، بل هو هروب إيجابي ، على أقل تقدير ، في مجال رؤية (حامد) ، وقناعته . ويبدو للمتلقي أن شخصية (حامد) هنا إنما تعكس ملمحا من ملامح شخصية (غسان كنفاني) نفسه ، الذي قدّم حياته قربانا في رحلة تشتته وبعده عن الوطن ، من أجل حياة أفضل للآخرين . وهو بهذا قد أكد على حتمية العنف الثوري في مواجهة معاناة

---

[1]) أرض البرتقال الحزين " الأعمال الكاملة " . غسان كنفاني . مرجع سابق . ص15–ص16

الشعب ، وما يتعرض له من قهر وإحباط ، ولعله بهذا قد عبّر في بعض رواياته ، ومنها " ما تبقّى لكم " ، بما قاله (فانون) :

" إن الإنسان المستعمر يتحرر في العنف وبالعنف " [1] .

(فحامد) بهروبه يتحدى الضياع والإحباط والفشل في مواجهة سقوط (مريم) وضياعها الرمزي ، ومن ثم أصبح هروبه حياة جديدة ، وهي حياة وليدة العذاب والموت الفعلي الذي عايشه في غزة قبل هروبه ، وعليه فهو يستمد كيانه ووجوده من واقع التأزم والمأساوية والعنف الذي عاشه ، وبدا – كما يقول أحد النقاد – " ابن العنف الذي يستمد منه في كل لحظة إنسانيته " [2] .

وبطل الرواية (حامد) هو إنسان متحدّ ، اتخذ من العنف طريقا للنضال ،" فقد واجه الموت بالموت ، موقنا أن حياته وإنسانيته إنما مصدرها العذاب والموت ، وبهذا يخرجنا من قاعدة إدراك الإنسانية والوجود قبل إدراك الموت ، وانغماس الإنسان في اليأس والقنوط ، وهو بهذا يدرك العكس من ذلك ، يدرك الإنسانية الفردية ، والجماعية، من خلال اليأس ذاته ، بل من خلال العذاب والموت كليهما " [3].

وكعادة شخصيات متعددة عند (غسان) في بعض رواياته ، فإن شخصية (حامد) هنا هي شخصية الهارب الباحث عن هويته ، كما ذكرنا من قبل ، ، لكن الاختلاف هنا هو أن الهروب قد بدأ من أرض فلسطينية – غزة – ، إلى أرض فلسطينية أخرى – الضفة الغربية – . ولعل الكاتب هنا قد استهدف بعدا مهما في مسيرة النضال الفلسطينية ، وتصوير الصراع العربي الإسرائيلي بصورة واقعية ، يسعى فيها

---

[1]) معذبو الأرض . فرانتز فانون . ترجمة د. سامي الدروبي ود. جمال الأتاسي . دار الطليعة . بيروت . ط2 1966م ص86

[2]) الالتزام والثورة . محمد أحمد عطية . دار العودة . بيروت . ط1 1974م ص85

[3]) الفن القصصي في فلسطين . مرجع سابق . ص235

الفلسطيني إلى توحيد الأرض الفلسطينية (الضفة وغزة) ، التي ينبثق منها ، موحّدة ، نضاله وثورته .

(حامد) إذن يهرب من حياته في غزة ، حيث أهله وأحباؤه ، نتيجة السلبيات العديدة والتمزق الأسري ، الذي ولّده الواقع نفسه ، ويتحرك وسط الصحراء ، تلك التي تشاركه أداء الدور البطولي ، وكأنها تشارك الجيل الجديد من أبناء فلسطين ، جيل الدم والعنف ، إحساسه بالمرارة والفجيعة ، كما أنها تشاركه النضال الحتمي .

وقد برع (غسان) في تجسيد الصحراء بنبض وحياة ، لينطقها بلغة وجدانية على قدر كبير من العمق والشفافية .

يقول على لسان الصحراء ، متحدثة عن إحساساتها تجاه (حامد) ، بل الشعب الفلسطيني برمته :

" لقد أعطيته من حشيتي كل ما أملك ، وهو يضرب دون أن يعي ، بعيدا عن طريقه ، ولكن شيئا واحدا لا أستطيع إعطاءه ، الوقت.

كان يتسرب من بين يديه ، ليس ذلك فقط كان ضده ، لم يكن في سباق معه ، ولكن في سباق مع خسارته ، ومن تلك الحشية التي لم يعد يعرف من أين تعمل داخل جسده استمد شعورا بضرورة التوقف"[1] .

كما أن شخصية (حامد) تمثل المواجهة الفعلية للواقع المر المتمثل في المحتل الإسرائيلي للأرض ، وهي مواجهة تعمد إلى العنف والثورة والدم ، لأن في هذا ، كما أدرك هو طوال مسيرة المعاناة ، الخلاص الحقيقي مما يعانيه ، وقد برع (غسان) كذلك في تجسيد المواجهة بشكل مباشر قائم على وعي الدور النضالي المنوط بالفلسطيني ، ذلك في قلب الصحراء حيث مسار هروب (حامد) ، فهو يلتقي يهوديا ، ويترك المؤلف كلا منهما يعبّر عن نفسه ويكشف النقاب من خلال لغة كل

---

[1]) ما تبقّى لكم . غسان كنفاني . مرجع سابق . ص23

منهما ، عن إحساسه وفكره ، ورؤيته تجاه الآخر . يقول (غسان) على لسان (حامد) ساعة المواجهة :

" وتركته يدرسني برهة كافية ، وحين كانت حواسه مركّزة عليّ تماما بانتظار حركة أو كلمة ، قلت له : هيّا ، كن رجلا طيبا ، ودعنا نتحدث عن يافا ، إن الانتظار الصامت لن يأتي إلا بالرعب ، ولكنه ظل يحدّق إليّ بعينيه الواسعتين المتعبتين ، كأنه لم يفهم شيئا .

هيّا ، كيف انتهى الأمر بك ، ذلك الحي الذي كان يمتدّ بين جامع الشيخ حسن ، وحمّام اليهود المحروق في المنشية ؟ وفجأة ، لست أدري لماذا بالضبط ، أحسست أنه يفهمني تماما ، وأنه يتابعني وينتظر نهاية لذلك كله ، فمضيت : سيكون ذلك حديثا مفيدا ، فأنا أعرف ذلك الحي تماما ، كنا نعيش هناك " [1] .

في مواجهة شخصية (حامد) الثائر ، المناضل المتحرك بالموت ، وعبر الموت ، لتجاوز واقعه المأزوم ، تقف شخصية (زكريا) الانهزامي ، السلبي ، المتخاذل ، القاعد عن حمل أية مسؤولية نضالية من أجل القضية والشعب ، وهو رمز للسقوط والتردي ، فهو الذي يغوي (مريم) لدفعها للسقوط في مستنقع العفونة والضياع .

و (زكريا) هو شخصية اقتنعت بالهزيمة والنكبة ، راضية بما تهبه له ولأمثاله ، ولعامة الشعب وكالة الغوث من معونات المعيشة اليومية ، كما يقول (غسان) ، فهو نموذج الاستكانة والاتكالية والهزيمة ، وهو دلالة واضحة لمعاني الفقر والضياع والعوز والخنوع في ظلها دونما محاولة للتغيير ، وهو الذي يلعب دور التخاذل ، بل التراجع عن مسار النضال ، وقد نجح في إسقاط (مريم) ، بل في فرض نفسه زوجا لها ، على أخيها (حامد) ليبقى الوجه البشع ، والمحطة المأساوية الحقيقية في حياة

---

[1]) المرجع السابق . ص45

(حامد) ، وهي التي تدفعه ، في خاتمة المطاف ، إلى محاولة قتله ، ومن ثم الهرب عبر الصحراء إلى الضفة الغربية .

في أثناء رحلته الصحراوية ، يضغط الماضي ، بمأساويته على ذات (حامد) ، عبر تيارات وعي بديعة ، فيتذكر وجه (زكريا) البشع ، الذي كان بوسعه – كما يقول (غسان – أن يعتصره بين قبضتيه الكبيرتين ، لكنه وجد نفسه أمام الفاجعة الكبرى ، وقد تم كل شيء بين (زكريا) وأخته (مريم) .

يقول (غسان) على لسان (حامد) مخاطبا (زكريا) :

" ولكن لم لم تقل إنك تريدها ؟ هزّ رأسه فيما كان يبتسم ابتسامة تاجر شريف : هذا الذي حصل . وأراد أن يقوم فيضربه ، إلا أنه واصل الابتسام . أنت تريد ضربي ، أليس كذلك ؟ سيقولون إنك ضربت الرجل الذي ... " [1] .

و (مريم) – كما أشرنا إلى ذلك من قبل – هي رمز ودلالة واضحة لمعاناة الأرض والشعب ، بل هي إيحاء بهما وإليهما بشكل مباشر ، وهي تصوير لواقع الحياة بمتناقضاتها وتفصيلاتها ، فهي بقدر ما تحمل في أعماقها الهدوء والسكينة ، والنقاء والطهر ، فإنها تخضع في لحظة لإغراءات (زكريا) ، وتقع فريسته ، وتخسر ذاتها، وتؤكد على عجز المرحلة ، في حقبة أو حقب من مسيرة نضال طويلة.

إن عنصر المأساة والضياع والتفسخ هنا هي تصوير لحالة التمزق والتوتر النفسي التي تعيشها (مريم) ، ممثلة لشريحة عريضة من أبناء الشعب الفلسطيني ، وقد لمسنا ، من خلال حديثنا السابق عن هذه الشخصية ، أنها تحيا المأساة من داخلها ، كما تحياها في وجوه الآخرين من حولها ، وبخاصة في شخصيتي أخيها (حامد) وزوجها المفروض (زكريا) .

---

[1]) المرجع السابق . ص167

وقد برع (غسان كنفاني) في تعميق دور شخصيتي (الصحراء) ، كما ذكرنا ذلك من قبل ، وساعة الحائط ، التي تبلور دلالات الزمن ، خارج حدود الزمن المحسوب ، والمحدد بالساعات والدقائق والثواني ، لينقلنا المؤلف معها عبر أطر الزمن النفسي ، الذي يتماشى وطبيعة الصراع والقلق والتأزم النفسي ، والانتظار والترقب المطلق ، التي تحياها شخوص الرواية بعامة ، وبخاصة شخصية كل من (حامد) و (مريم) .

و (غسان) يعمد في تعميق دور الساعة هنا إلى عنصر التصوير الفني ، وقد نجح في ربط الساعة ، برتابة دقاتها ، وما تولده من عميق أثر نفسي ، في توسيع دائرة القلق والتوتر والترقب ، وما تعانيه شخوصه ، وما تحسه من فجيعة القلق المماثل والترقب والانتظار المطلقين .

يقول (غسان) بهذا الصدد :

" وفي اللحظة التالية بدأت تدق ، ولاحظنا معا أن دقاتها المعدنية تشبه صوت عكازة قرد " .

وقد عبّر (غسان) عن حالة التمزق النفسي ، والتوتر والضياع التي تحياها شخوص روايته بعامة ، في قالب من دلالة واقعية تعطي المتلقي صورة حقيقية وصادقة عن بواعث هذا القلق والتمزق ، على الرغم مما تنبض به الأرض التي تحتضنهم من خصب الحياة ونبض الوجود ، إذ يقول :

" أرض خصبة مزروعة بالوهم والمجهول تتكسر كل أنصال الفولاذ في العالم إذا مرت فوق صدرك الأصفر العاري – أي الصحراء – ، صدرك الأجرد الممتد إلى أبدي وآبادهم ، والسابح بجلال في بحر من العتمة ،كل أنصال الفولاذ في العالم ليس بمقدورها أن تحصد من فوقك عرقا واحدا ، ولكنها تتكسر ، واحدا وراء الأخر ، أمام

حصادك الصلب النامي أكثر فأكثر كلما خطا الرجل إلى أعماقك خطوة وراء خطوة ،حتى ليتحول هو ذاته إلى عرق مجهول مشرّش يستقي منك انتصابه وخطواته " [1] .

دلالات شخصيات الرواية الرمزية

بإجمال القول يمكن أن نحدد دلالات شخصية (حامد) باعتبارها المحور الرئيس الذي تدور حوله عناصر البناء الفني للرواية بعامة ، فهو محرك الحدث الرئيس ، والمتحرك معه بشكل متتابع لبلورة الفكرة العامة والدلالة الشاملة للرواية كلها ، كما أنه المحرك الرئيس لعنصري الزمان والمكان في الرواية ، وهما زمان ومكان واقعيان ملموسان محددان في جانب كما أنهما نفسيان دلاليان تتسع دائرتهما لتشمل مراحل زمنية طويلة من حياة شعب فلسطين كله ، بما يعتوره من مشاعر الغضب والثورة في ظل مأساوية الحياة كلها من حوله ، في جانب آخر .

و(حامد) يمثل شريحة عريضة من الشعب الفلسطيني من أجيال مختلفة ، لكن شريحة من الشباب الفلسطيني هي المستهدفة في قالب الشخصية الرمزي ، فهو جيل فتح عينيه على واقع التشرد والضياع والقهر ، كما واجه ، طوال مرحلة وعيه الأولى ، عوامل السقوط والتردي والهزيمة والفشل في وضع لبنة حقيقية ومتزنة ومدروسة للخلاص ، إلى أن أدرك أن لا خلاص له إلا بالثورة والعنف الثوري والنضال الحتمي والمواجهة المباشرة للعدوان والاحتلال ، ولأسباب السقوط والضياع والانكسار ، فهبّ ليترجم هذا كله في إطار من الفعل الثوري . إن هذه هي الدلالات الحقيقية التي أحسب أن الكاتب قد استهدفها . ولعلنا ندرك هذا مما أوردناه مسبقا على لسان (حامد) نفسه للتعبير عن جوهر مأساته ، وأعني مأساة الشريحة العريضة التي يمثلها في الرواية ، والتي قد ندرك بعض ملامحها من خلال حديثه لنفسه في رحلته الصحراوية ، حين يقول ، عبر تيارات الوعي المتلاحقة :

---

[1]) المرجع السابق . ص180

" هل تصورت أنها ستقوم معك بقطع الصحراء عائدة إلى غزة ، تقتحم البيت ، فتلقى (زكريا) بالطريق ، وتلقى (مريم) ، وتعيد لها عفافها وطموحها وشبابها ؟ " .

وهو حين يواجه الجندي الإسرائيلي في الصحراء فجأة ، تبدو المواجهة ذاتها دلالة واضحة ومباشرة لطبيعة العلاقة بينهما ، والصراع الحتمي المستمر بينهما كذلك ، بل لعل الكاتب أيضا قد أراد أن يوجد شكلا من أشكال المواجهة والصراع ، حيث ولّد بينهما حوارا يدفع بالمتلقي لإدراك وجوب الاستناد إلى مثل هذا التحول الواجب في مسيرة الصراع بينهما . يقول (غسان) بهذا الصدد :

" فظهرا كشيئين غير حقيقيين تحوم حولهما ريح الموت الباردة ، بانتظار لحظة الحقيقة الوحيدة ، التي بدت بعيدة عن كتفيها القريبتين إلى بعضهما قربا لا يصدق . لقد بدا ارتطامهما ببعضهما في ذلك المدى اللانهائي قدرا غريبا ، وربما مصادفا " [1] .

وقد يكون (غسان) هنا قد أراد الكشف عن بواطن الشخصيتين (حامد) و (الجندي الإسرائيلي) ، ليحدد للمتلقي فكر كل منهما ، ورؤيته تجاه القضية والصراع بعامة . ولنقرأ هذا الحوار الذاتي على لسان (حامد) ، مخاطبا الجندي :

" حتى لو كنت تفهم ما أقول ، فلن تقول الحقيقة . إننا ندور في حلقة مفرغة ، والوقت لا يمكن أن يكون ضدنا نحن الاثنين معا بصورة متساوية " .

ثم يقول ، محددا ، فيما أرى ، جانبا مهما من جوانب الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، الذي يلعب فيه الزمان والمكان دورهما على الصعيدين الواقعي والفني معا :

" لكنني لا أكترث كثيرا بالزمن كما ترى ، والمسافة لصالحي ، فأنت أقرب إلى نصل سلاحي ، مما أنا إلى فوهات بنادقهم ... " .

---

[1]) المرجع السابق . ص207

وشخصية (حامد) هي دلالة التواصل والامتداد بين حقب النضال الفلسطيني ، وهو المرآة التي تعكس بواقعية وصدق وموضوعية مراحل حياة الشعب الفلسطيني ، فمن خلاله نقرأ معاناة الماضي ، كما نقرأ تطلعات الآن الثورية أيضا ، هو ينقل لنا عبر لغته مأساوية الماضي في غزة ، رمزا لمأساوية الواقع الفلسطيني برمته ، دونما محدودية مكانية أو زمانية ، كما ينقل روح الثورة المتوالد من وحي هذه المأساوية . هو يقول في جانب :

" كانت الأمور كلها في غزة ، وفي الأردن تعمل في صالحي ، وكنت أقف هنا بالضبط في رقعة محاطة بالخسائر ، من كل جانب ، فتعال أقل لك شيئا مهما : ليس لديّ ما أخسره الآن " [1] .

وفي جانب آخر يقول معبّرا عن مرحلة الآن ، ورؤية المستقبل ، ويحدد طبيعة إحساس الجانب الآخر – الإسرائيلي – الذي تعتصره مشاعر الخوف والرهبة والتخبط والفزع من الآتي ، يقول :

" مضى يحكي دون توقف ، غاضبا عصبيا ، ينفض ذراعيه حوله ، ويشير تارة وراءه ، وتارة أمامه ، فدفعت رأس السكين إلى خاصرته ، فسكت . وقلت له : لا تستعمل صوتك بعد أن فقدت مسدس الضوء . ثم إنني لا أفهم حرفا واحدا مما تقول ، وليس هنا من يفهم حرفا مما تقول أيضا ، فلماذا تضيع وقتك ؟ " [2] .

ولعل الكاتب ضمن حدود شخصية (حامد) هنا قد جسد مقولة أحد الباحثين حين قال في هذا الإطار : " الثورة والحرب ديناميتان ، ولكن على حساب التقنية والثقافة إلى حد كبير " [3] ، إذ كان (حامد) في تحركه الثوري قاصرا دوره فحسب

---

[1]) المرجع السابق . ص209

[2]) المرجع السابق . ص211

[3]) الأدب والثورة . تروسكي . ترجمة د. حسين جمعة . موسكو .ط1 1962م ص17

على المواجهة والحرب ليولّد لدينا تساؤلا كبيرا حول إمكانية ، بل حتمية التنبه إلى عوامل أخرى ، كان لا بدّ من أخذها في الحسبان في إطار المواجهة .

أما ساعة الحائط ، فقد لعبت دورا مهما في أحداث الرواية ، فهي رمز ودلالة لجانبين اثنين مهمين ، الأول منهما هو الجانب الواقعي الملموس ، وهو مسار الزمن الواقعي ، وهو مسار مهم في حياة الشعب الفلسطيني ، إذ هو زمن متسارع ممتدّ ، دفع بالفلسطيني منذ نكبة الثامن والأربعين للانتظار والترقب ، وقد ارتبط هذا ، ومنذ اللحظة الأولى للتشرد والضياع بتفصيلات حياة الشعب الفلسطيني ، فقد حمل الإنسان الفلسطيني عبء الانتظار منذ بدء الهجرة ، والأمل يراوده بالعودة القريبة ، ومع امتداد الزمن زاد حجم المعاناة ، وأصبح الأمل أشبه بالحلم والذكرى فحسب . والساعة هنا هي معيار إعادة صياغة الحلم ، وإحياء الذكرى بشكل متواصل . وأما الجانب الثاني فهو أن ساعة الحائط قد لعبت دورا دلاليا رمزيا في موازاة أحداث الرواية فنيا ، والكشف عن مكنون الشخصيات وبلورة إحساساتهم الداخلية ، وما يعتمر في بواطنهم من مشاعر القلق والتوتر النفسي والصخب واللهاث من أجل تجاوز حالات القهر والإحباط التي يعايشونها ، فدقاتها هي رمز لهذا كله ، وهي دقات متلاحقة زمنيا ، على الصعيد الواقعي ، من جهة ، لكنها دقات نفسية تفجر بواطن الشخصيات ، وتتوازى معها بشكل مباشر ، من جهة أخرى .

يقول (غسان كنفاني) مجسدا دور ساعة الحائط المستهدف هنا :

" وأخذت تدقّ ، ولم تصمت إلا حين جاءت خطواته ، مثلما كانت دائما خارج ذلك النعش المعلّق فوق الجدار ، تدقّ في جبيني ، إصدارها القاسي الذي لا يرحم ، تدقّ فوقه مكوما هناك قطعة من الموت . تدقّ . تدقّ . تدقّ . " [1] .

لقد لاحق المتلقي جزئيات مهمة من أحداث الرواية بشكل لاهث ، مدركا ما تحمله في حقيقتها من مشاعر وإحساسات الترقب المشار إليها عبر ملاحقة دقات

---

[1]) ما تبقّى لكم . غسان كنفاني . مرجع سابق . ص233

الساعة على امتداد الرواية ، وفي لحظات الصخب العصيبة التي كانت تحياها شخوص الرواية ، ولعل المؤلف بهذا قد وظّف الساعة لتحديد كنه أحداث الرواية وتعميقها ، على الرغم من محدودية دور بعضها ، وكأنه قد أكد بذلك على مقولة أحد الباحثين من أن الفن على العموم ، والفن الروائي بخاصة ، إنما هو " استخدام أقل حجم ممكن من الحياة الخارجية ، من أجل بعث أعنف حركة ممكنة في الحياة الداخلية ، لأن هذه الحياة الداخلية هي في الواقع موضوع اهتمامنا ، فليست مهمة الروائي أن يقص علينا أحداثا عظيمة بل أن يجعل الأحداث الصغيرة مثيرة للاهتمام " [1] .

أما شخصية (زكريا) ، فهي رامزة لحالات القهر والإحباط والهزيمة والانكسار ، كما ذكرنا من قبل ، وهو يمثل شريحة من الشعب الفلسطيني أيضا ، وهي شريحة من قبلوا بالواقع كما هو ، مستسلمة له ، راضية بما تعانيه من مذلة ومهانة ، لكن هذه الشريحة قد أفرزت نماذج لشخصيات متعددة اتسمت باختلاف الفكر والسلوك والممارسة على الصعيد الواقعي ، فقد كان منها من أغلقوا على أنفسهم إسار ذواتهم ، فرضوا بمهانة اللحظة وإذلالها ، وانعدم دورها تماما في تحريك الواقع نحو الأفضل ، فغاب أداؤها على هذا الصعيد ، ومنها من حاول الخروج من بوتقة هذا الإذلال بطرق سلبية سيئة ، فخضع للسقوط على أشكاله المختلفة ، وبدأ ممارسات السقوط والتردي والكسب غير المشروع ، وتجاوز حدود المقبول على الصعد القانونية والأخلاقية . وبرغم أن هذه الشريحة قد تكون محدودة من حيث الكم ، إلا أنها من حيث الكيف والطبيعة السلوكية الملموسة على صعيد الواقع ، كان لها تأثيرها الكبير ، في إطار وطن محدود مكانيا وبشريا . ولعل شخصية (زكريا) هنا أن تكون رمزا لهذه الشريحة .

---

[1]) الرواية الإبداعية . " فن الرواية " توماس مان " . ترجمة د. صالح أبو إصبع . بيروت . ط1 1974م ص122

(زكريا) إذن هو رمز للسقوط والفشل ، كما أنه رمز ودلالة نفسية مباشرة لمشاعر الخوف والترقب السلبي ، والانتظار المبهم ، والرهبة من الآتي ، وهي رهبة سلبية أيضا ، توازي رهبة (حامد) الإيجابية ، التي دفعته لثورته ونضاله ، ذلك أن (زكريا) هنا تدفعه رهبته إلى توسيع دائرة ممارساته البشعة ، حتى يوفّر لنفسه أمانا زائفا ، غير واقعي .

يقول (غسان) عن شخصية (زكريا) وحالته النفسية التي نعنيهاهنا:

" يكتسي وجهه فجأة وبلا تردّد بتلك الملامح الراعبة الجامدة ، والمتكبرة التي تتخذها عادة وجوه الذين يعرفون أنهم سيموتون في ساحة عامة ، وتحت أنظار الناس جميعا ، وفي سبيل شيء يخدمه الناس كلهم ... " [1] .

و (زكريا) ، على الإجمال ، هو رمز واضح للضياع الحقيقي ، والفشل المزمن ، كما أنه دلالة مباشرة لمعاني الاتكالية والخنوع والهزيمة والنكبة الحقيقية ، التي مني بها شعب فلسطين ، كما أنه رمز للتخاذل والسقوط والتردي في أبشع أشكاله قسوة ومهانة .

و (مريم) هي دلالة للوطن والأرض والشعب ، وقد أشرنا من قبل إلى أنها رمز واضح ومباشر لمعاناة هذا الشعب ، وإحساسات هذا الوطن ، كما أنها صورة صادقة لمراحل حياة شعب برمته ، بمتناقضاته كلها ، فهي طهر الشعب ونقاؤه ، ونضاله من أجل التأكيد على هويته ووجوده ، كما أنها صورة لسقوط بعض نماذجه وفقدانهم الطهر والنقاء والمصداقية .

يقول (غسان) على لسان (حامد) مصورا لحظة مواجهة السقوط وفقدان الطهارة وأمان اللحظة الآنية ، والمستقبلية ، تلك التي كشفتها حالة سقوط (مريم) :

---

[1]) ما تبقّى لكم . غسان كنفاني . مرجع سابق . ص77

" خيّل إليّ أن صراخا ينبعث من بين فخذيها حيث طوت راحتيها كأنها تخفي شيئا ، وفجأة بدأت تبكي . فقلت بصوت واهن : يا إلهي ، عرفت . " [1] .

والصحراء ذاتها ، كما ساعة الحائط ، تمثل شخصية منفردة وذات دلالة في الرواية كلها ، حتى إن المؤلف حين شرع في تقديم روايته ، عمد إلى نقل لغة الصحراء الموجهة لأبطال روايته ، بحروف سوداء مغايرة لما جاءت عليه حروف الرواية كلها ، تخصيصا لها ، وتحديدا لدورها الفاعل في الكشف عن مكنون نفوس أبطال الرواية .

والصحراء هنا ترمز إلى جانبين اثنين مهمين في إطار البناء الفني للرواية بعامة ، الأول منهما يرتكز فيه المؤلف على مسايرة أحداث الرواية وشخوصها ، إذ إن الصحراء تتفاعل مع ذلك كله ، بل تولّد تفاعلا من قبل الشخصيات معها أيضا ، فهي ترقب حوار الفلسطيني – حامد – والإسرائيلي – الجندي – لتحسم الحوار ولتحدد مساره أيضا . بل إن حوارات الفلسطيني تحديدا تنبثق وتتوالد من خلال متابعة حوار الصحراء ذاته . أما الجانب الثاني فإنه يتجسد في تأكيد الصحراء على حميمية الصلة والتواصل مع الفلسطيني ، وكذلك التأكيد على هوية الصحراء الفلسطينية ، وكأن الكاتب قد وحّد بين الأرض والإنسان ، وهي القضية الجوهرية في الصراع العربي الإسرائيلي ، وأساس المشكلة الكبرى في هذا الصراع . فالأرض – الصحراء – هنا هي محور الصراع ، وقد برع الكاتب في خلق المواجهة هنا على رمال الصحراء حتى يحسم قضية هي من أكثر القضايا الشائكة قسوة وحدّة في الصراع المشار إليه .

الصحراء إذن هي دلالة للوطن والأرض مكانيا ، كما أن شخصية (مريم) هي دلالة الوطن شعبا ، وقد استطاع الكاتب أن يعمق من دور الصحراء – كما أشرت إلى ذلك من قبل – من خلال تفعيل دور التلاحم بينها وبين (حامد) – الشعب الفلسطيني – بصورة ملموسة . يقول الكاتب في هذا الصدد :

---

[1]) المرجع السابق . ص175

" سقط الظلام تماما الآن ، وسقطت معه ريح باردة صفرت فوق صدر الصحراء ، كأنها لهاث مخلوق ميت ، ولم يعد يدري ما إذا كان خائفا ، قلب واحد كان ينبض ملء السماء في ذلك الجسد المترامي على حافة الأفق " [1] .

وفي تعميق لدلالة الصحراء بصورة أكثر وضوحا وجلاء ، يقول (غسان):

" كلما خطا الرجل إلى أعماقك خطوة وراء خطوة ، حتى ليتحول هو ذاته إلى عرق مجهول مشرّش يستقي منك انتصابه وخطواته " [2] .

رؤية عامة

تبقى رواية " ما تبقّى لكم " إحدى الروايات الفلسطينية المهمة في الواقع الأدبي الفلسطيني الحديث ، وهي رواية تحقق ما ذهب إليه (إلبيريس) ، حين قال متحدثا عن الرواية الحديثة :

" إن أعمق بواطن الكائن وأكثرها حركة وأشدها سرية هي الهاوية التي جذبت نحوها الرواية منذ القرن السابع عشر ، وأن القارئ دون وعي منه بهذا السحر الذي يستسلم إليه بمتعة ، يتبنى بيسر دور مصاصي الدماء ، الذي يجعل من قراءة الروايات متعة مادية " [3] .

كما أن رواية " ما تبقّى لكم " قد قدمت نماذج لشخصيات ، جاءت انعكاسا لواقع حياة الشعب الفلسطيني ، على الرغم من محدودية عدد تلك الشخصيات ، وقد نجح(غسان كنفاني) من خلالها في استنطاق ذاكرة ماضي هذا الشعب ، ووضع لبنة حياته الآنية والمستقبلية ، وهو بهذا يحقق مقولة (لوكاتش) من أن " أي وصف

---

[1]) المرجع السابق . ص167 – ص168

[2]) المرجع السابق . ص180

[3]) تاريخ الرواية الحديثة . ر. م. إلبيريس . ترجمة جورج سالم . منشورات عويدات ومكتبة الجامعيين . بيروت ط1 1967م ص25

لا يشتمل على نظرة شخصيات العمل الأدبي إلى العالم ، لا يمكن أن يكون تاما " [1] .

إن " ما تبقّى لكم " تترجم بشكل واضح فكر المؤلف السياسي وقناعاته الشخصية تجاه القضية والشعب ، ذلك من خلال شخصياته الروائية ، وكأنه يحمل العبء الذي أشار إليه أحد النقاد في معرض حديثه عن مسؤولية الروائي السياسي ، حين قال :

" إن المهمة السامية أمام الروائي السياسي هي أن يجعل الأفكار المحررة والأيديولوجيات تصبح حيّة ومقنعة في إطار حركة الشخصيات الروائية " [2] .

إن رواية " ما تبقّى لكم " تحمل خصوصية من حيث مكانتها الأدبية والفنية ، ومن حيث دلالاتها المباشرة على الصعد السياسية والثقافية والاجتماعية ، بل النضالية لشعب فلسطين ، ولعل هذا في مجمله ما دفع (بغسان كنفاني) نفسه لأن يقول :

" إنني أعتبر " ما تبقّى لكم " و " رجال في الشمس " أحسن ما كتبت " [3] .

---

[1]) دراسات في الواقعية . جورج لوكاتش . ترجمة د. نايف بلوز . وزارة الثقافة . دمشق . ط1 1972م ص47

[2]) الرواية السياسية . " مقال منشور بمجلة الأقلام العراقية " . أرفنج هاو . ترجمة د. طه وادي . ص24

[3]) الآثار الكاملة . غسان كنفاني . مجلد 1 . مرجع سابق . ص16